

الشيخ أحمد ياسين حياته وجهاده

الدكتور عاطف عدوان

أشعار وورود للشيخ

من قصيدة للدكتور عبد الرحمن بارود. جدة ١٠/٦/١٩٨٩م

لك الله...والجنة الموعود
يفيض...ولا زادها ينفذ
ومن عذبوا...ومن استشهدوا

أخي يا ابن ياسين...يا أحمد
حمائم ذي العرش لا ماؤها
صراط النبيين والمرسلين

وفي الجورة الجود والمحتد
ونائلك الغمر لا يجحد
وكالأسد الولد الأمرد

من الجوره الأسد المقدس
ثراك فلسطين مخضوضه
وكم فيك من عظماء الرجال

واشهرسها الشلل المقعد
إذا ما هوى غيره يصعد
لقد ربح البيع يا أحمد

على الجمر تشويه أمراضه
ولكنه أمية وحده
فقل لابن ياسين ان جئته

من قصيدة للأستاذ خالد أبو العمرين (٢٤/٦/١٩٨٩م)

ويشددنا إيمانك الجبار
أن السجون سياحة وفخار
وصلالة وتوثب وقرار

يا أحمد الياسين أنت أمامنا
يا أحمد الياسين قد علمتنا
علمتنا ان الرجال مواقف

من خيل «بدر» عزة ونضار
فتكشفت للعالم الأسرار
أرض الرباط الشعب والأحجار

ناديت فاندفع الشباب كأنهم
وازحت عن وطني كآبة ظالم
بوركت يا رمز الجهاد وبوركت

تحيي هزال جسومنا الأحجار
وبها يزول الخوف والأعذار
فالله يضرب والسكوت العار

يا ميت الجسم الصغير أقمنا
سبب حان ربي ان هذي آية
طأ فوق هام الكفر فجر ثورة

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة الشيخ أحمد ياسين عملاق العمل الإسلامي وأستاذ الجيل في الأراضي الفلسطينية كلها، هذا الشيخ الذي قدم لربه ولدينه ولقضيته الكثير من العطاء والتضحية. لقد تفاخرت المجتمعات الغربية والعربية والإسلامية بما أنجزته بعض الشخصيات المعاقة على أصعدة متعددة ويحق على الشعب الفلسطيني أن يفاخر بهذه الشخصية الفذة التي أعادت بناء جيل كامل على نهج الدعوة الإسلامية القويم فتخرج الكتاب والأدباء ورجال الدعوة والفكر والأساتذة وقد انتشر تلامذته في أنحاء العالم يبلغون رسالة الإسلام ليكونوا فروعاً لهذه الشجرة المباركة. إن الجهد الذي بذله الشيخ أحمد سواء على الصعيد الدعوي أو الاجتماعي أو السياسي لا يمكن أن يقدر أو يستطيع شخص أن يحصره بين دفتي كتاب واحد.

من هنا فإن هذا الكتاب يعجز حقيقة عن إعطاء الشيخ حقه وهذا الكتاب ليس إلا محاولة مبدئية لإلقاء الضوء على بعض النواحي في حياة الشيخ ولا يمكن أن يكون حصراً لسيرته وعطاءه مطلقاً فهذا شيء كان محتاج إلى جهد أكبر ووقت أطول وظروف أفضل للبحث والتدقيق والاستنباط وهذه كلها ليست موجودة في هذه المرحلة الصعبة.

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى والدي الحبيب ووالدتي الحنونة وأهلي الأعزاء وزوجتي وأولادي لأن لهم علي ديناً كبيراً.

كما أهدي هذا الكتاب إلى كل معتقل يزود عن حياض الدين والوطن وإلى روح كل شهيد قدم حياته في سبيل الله، وإلى كل باحث عن الحق والفضيلة ورفعته الإسلام وإلى كل مخلص من أبناء شعبنا الوفي المقدام وفي مقدمة الجميع إلى الشيخ أحمد ياسين نفسه سائلاً المولى الكريم عز وجل أن يفرج كربته ويفك أسرته وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

شكر وتقدير

إن أي عمل كتابي لا يمكن أن يكون جهد الباحث القائم به وحده ولكنه ثمرة جهد مجموعة من أفراد المجتمع سواء الذين كتبوا في الموضوع أو الذين قدموا معلومات أو أبرزوا وثائق أو وفروا جواً بحثياً أو حتى قدموا نصيحة أو توجيه. وفي هذا الصدد أود أن أشكر مجموعة الأخوة عظيم الشكر منهم أخوة الشيخ أحمد ياسين - أبو نسيم - وأبو علي - وكذلك الأخوة الأفاضل داود أبو خاطر، أحمد بحر، محمد طه، مصطفى أبو القمصان، محمد حسن شمعة، أبو ناصر الكجك، أحمد دلول، حماد الحسنات وغيرهم من الطيبين الذين لم تسعف الذاكرة حفظ أسمائهم.

وأود أن أتوجه بالشكر كذلك للأخوة المحامين الذين قدموا لي أيضاً بعضاً من الوثائق الموجودة لديهم وأخص بالذكر الأستاذ المحامي عمر أحمد البرش، الأستاذ المحامي ناظم عويضة والأستاذ المحامي عادل خليفة.

كما أتوجه بالشكر وعظيم الامتنان لكل من ساعد في تعديل وتصحيح لغة البحث أو وجه نقداً أو أرشد إلى نقطة أغفلتها أو ساعد بكثير أو قليل في إخراج هذا الكتاب وأسأل الله أن يجزل لهم العطاء إنه كريم حلیم.

تمهيد

يتناول هذا الكتاب سيرة الشيخ أحمد اسماعيل ياسين عملاق العمل الإسلامي وأستاذ الجيل في الأراضي الفلسطينية كلها، هذا الشيخ المجاهد الذي قدم لربه ولدينه ولقضيته رغم مرضه وإعاقته الكثير من العطاء والتضحية لا زالت الكتابات بشأنه قليلة إذا قورنت بغيره من الأصحاء الذين يديرون العمل النضالي الفلسطيني حيث الأمان والدعة، لذلك كان لا بد من تعريف بهذه الشخصية المجاهدة الفذة التي تخطت صعوبات الإعاقة الجسمية وما يمكن أن يصاحبها من آلام نفسية تمنعها من الاختلاط بالمجتمع وربما الانزواء في زاوية بعيدة عن التفاعل الاجتماعي تخطت كل ذلك نحو الأفق، نحو بناء انجازات تعجز الكثير من الطاقات البشرية عن القيام بها.

لقد تفاخرت المجتمعات الغربية والعربية والإسلامية بما أنجزته بعض الشخصيات المعاقة على أصعدة متعددة سواء في ميدان العلم أو الأدب أو اللغة مثل هيلن كيلر، وطه حسين، والأعشى وكثير من أمثال هؤلاء وحقيق على الشعب الفلسطيني أن يفاخر بهذه الشخصية الفذة التي حباها الله قدرة عالية من العطاء لشعبها فإذا أنجز هؤلاء الأدباء والكتاب متفرقات من العلم والأدب فإن هذا العطاء يتضائل أمام عطاء هذا الشيخ الذي أعاد بناء جيل كامل على منهج الدعوة الإسلامية القوية فخرج الكتاب والأدباء ورجال الدعوة والفكر والأساتذة وقد انتشر تلامذته في أنحاء العالم يبلغون رسالة الإسلام ليكونوا فروعاً لهذه الشجرة المباركة العملاقة.

إن تأثير الشيخ أحمد ياسين لم يقتصر فقط على إحياء الدعوة الإسلامية وتكوين حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فيما بعد ولكن الامتدادات الفكرية والسلوكية انطلقت في شتى الاتجاهات بانطلاق النشء الذي تربى في مدرسة الشيخ الايمانية مدرسة الاخوان وربما هذا ما أغرى الكثير من تلامذته على إطلاق

كلمة «أستاذ الجيل» عليه.

إن الجهد الذي بذله الشيخ أحمد سواء على الصعيد الدعوي أو الاجتماعي أو السياسي لا يمكن أن يقدر أو يستطيع شخص أن يحصره بين دفتي كتاب واحد إذ أن أي عمل يجده صاحبه ضئيلاً أمام رحلة شاقة أو عمل مجهد تكبد فيه هذا الشيخ المعاق الحركة الكثير من المتاعب والجهد ليفسد ما أصلحه البعض سواء من الأفراد أو المؤسسات أو المنظمات أو يبنى شيئاً جديداً.

من هنا فإن الكتاب يعجز حقيقة عن إعطائه حقه وهو (أي الكتاب) ليس إلا محاولة مبدئية لإلقاء الضوء على بعض النواحي في حياة الشيخ ولا يمكن أن يكون حصراً لسيرته وعطاءه مطلقاً فهذا شيء كان سيحتاج إلى جهد أكبر ووقت أطول وظروف أفضل للبحث والتدقيق والاستنباط إذ الظروف التي يعيشها شعبنا تجعل من مثل هذا العمل في مثل هذه المرحلة عملاً صعباً وغير مأمون العواقب إذ السجن أو الاعتقال أصبح بسبب وبدون سبب.

منهج البحث

لقد اتبع البحث المنهج التاريخي القانوني في جانبيه الوضعي والتحليلي وقد تم ذلك حسب مقتضيات الظرف والحدث الخاص بكل مرحلة بما لا يقدم أكثر من اللازم أو يقلل من قيمة الحدث أو المرحلة ثم اعتمد أيضاً على البحث الميداني حيث قام الكاتب بمقابلة العديد من الشخصيات الإسلامية التي كانت مقربة من الشيخ أحمد ياسين أو شاركته في صناعة الحدث أو كانت شاهدة عليه (على الحدث).

صعوبات ومعوقات

لقد صادف الباحث العديد من المعوقات والصعوبات التي جعلت من عملية البحث عملية أكثر تعقيداً من هذه المعوقات:

- ١- إن المرحلة التي يكتب فيها هذا البحث والشخصية التي يكتب عنها من الأمور التي تعرفها الباحث إلى ما لا يجب لذلك فإن البحث كان أشبه بالسير حافي القدمين في حقل أشواك لا بد منه من اختيار مكان الخطوة واتجاهها.
- ٢- إن طبيعة المرحلة التي يعيشها مجتمعنا الفلسطيني في الداخل شكلت عائقاً أمام البحث إذ أن البحث في حياة وسلوك الشيخ أحمد ياسين في كثير من الأحيان هو بحث في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ولكون الحركة قد مرت في ظروف صعبة وتوترات وخاصة في النصف الأول من عقد الثمانينات حيث الصدمات العنيفة قد جعلت الباحث مكتوف الأيدي إذ وجد نفسه أمام خيارين أحلاهما مر أما الأول فهو الاتيان على أسباب المشاكل وأبعادها مما يثير حساسيات وحزازات جديدة مما قد يعكر صفو الوحدة الوطنية وهذا ما لا يريجه أحد، وأما الثاني فهو تناسي ذلك وعدم ذكره مما يجعل البحث وكأنه يحتوي على ثغرات واسعة ويترك أسئلة تحتاج إلى إجابات وقد أثر الباحث الدرب الثاني للظروف التي تحتاج إلى عناية في تناول وقد تأتي المرحلة في

المستقبل الذي يشعر أي باحث فيها حر في تناول الأسباب والظروف والنتائج التي أسفرت عنها هذه المرحلة.

٣- إن المعلومات المتوفرة عن الشيخ أحمد رغم شهرته السياسية والدينية والاجتماعية معلومات قليلة ومكررة لذلك كان لا بد من بذل جهد كبير في التحقق أولاً مما نشر ثم وضع أساس سليم للبحث وقد أدت ندرة المعلومات إلى دفع الباحث إلى الاعتماد كثيراً على المقابلات الشخصية وعلى ذاكرة من عايشوا الشيخ وعرفوه وهذه أيضاً لم تكن موفقة كثيراً خاصة ما تناول منها مرحلة الصغر بالنسبة للشيخ أحمد إذ أن إخوانه أبو نسيم وأبو علي لم تسعفهما الذاكرة في توثيق حياة الشيخ توثيقاً دقيقاً وقد أدت قلة ثقافتهما إلى عدم قدرتهما على تركيز المعلومات ومع ذلك فإن المعلومات التي أدلوا بها للباحث كانت عظيمة الأهمية لكونها تعرف للمرة الأولى للقارىء.

٤- إن طبيعة المرحلة السياسية والظروف الاحتلالية قد فرضت الكثير من القيود الأمنية والاجتماعية والسياسية التي حددت التصرف في المعلومات وخاصة في الفصول الأخيرة.

٥- إن هناك بعض الغموض الذي لف حياة الشيخ في سنوات الخمسينات لعدم وجود المعلومات الكافية حول حياته وعلاقته بحركة الإخوان المسلمين وكيفية دخوله الحركة. وربما يرجع ذلك إلى عدم وجود الكثير من الشخصيات القيادية والتنظيمية المؤثرة في الحركة في هذه المرحلة داخل القطاع مما حجب الكثير من المعلومات.

٦- إن البحث الميداني الذي صاحب البحث التاريخي قد شكل عقبة كبيرة إذ كان لا بد من شرح مسبق لأهداف البحث وطبيعة المعلومات وحدودها وقد دفعت صعوبة المرحلة الكثير ممن تم الترتيب للقائهم ويحجمون عن اللقاء.

الوثائق والملاحق

لم تتوفر الوثائق الخاصة بالشيخ أحمد ياسين في أي مرحلة من سنين حياته

عدا مرحلة سجنه إذ تمت المحاولة للحصول على أية أوراق خاصة به لإلقاء الضوء على عمله التدريسي إلا أنه تعذر تماماً سواء في مرحلة الدراسة أو التدريس وقد أحجمت المؤسسات الرسمية عن التجاوب أما بخصوص الوثائق التي تخص مرحلة السجن فقد توفرت والشكر في ذلك لله أولاً ولتعاون بعض من الأخوة المحامين المحترمين وأذكر منهم الأستاذ المحامي عمر أحمد البرش، الأستاذ المحامي ناظم عويضة، الأستاذ المحامي عادل خليفة وغيرهم ممن كان لمساعدتهم كبير الأثر في الحصول على لوائح الاتهام وأقوال الشيخ وزملائه في المرتين اللتين سجن فيهما وقد تم وضع بعضاً منها في الملاحق وخاصة تلك الوثائق التي تتعلق منها بالشيخ أحمد بشخصه والتي تساعد على فهم شخصيته وسلوكه ومعتقداته. ومن الجدير ذكره أنه قد بدأت تتوفر بعض المعلومات والوثائق في مرحلة ما بعد الطباعة إلا أنها لم تجد المجال للنشر والله أسأل أن يكون في الطباعات القادمة للكتاب أشياء جديدة هامة.

هيكلية البحث

لقد قمت بتقسيم الكتاب إلى ثمانية فصول بحيث غطى كل فصل منها موضوع بعينه أو حقبة من حياة الشيخ، فقد تناول الفصل الأول: الذي عنون «ولادة الشيخ ونشأته» طفولة الشيخ المبكرة في قريته الجورة ودراسته ونشاطاته ثم الهجرة من بلدته في فلسطين المحتلة نتيجة لمعارك ١٩٤٨م التي خسرها الطرف الفلسطيني والعربي والتي هاجر على أثرها مئات الآلاف من أبناء فلسطين من قراهم ومدنهم إلى قطاع غزة واستقراره فيه ثم انضمامه لحركة الإخوان المسلمين كما تعرض هذا الفصل إلى الحادث الأليم الذي أدى إلى الشلل الدائم الذي صاحب الشيخ منذ فجر شبابه المبكر إلى الآن وكيف أكمل الشيخ دراسته الثانوية واستلامه العمل كمدرس في مدارس الحكومة. الفصل الثاني: عرض هذا الفصل الذي كان عنوانه «ممارسة العمل» بداية

عمل الشيخ كمدرس والصعوبات التي واجهته في حياته التدريسية وإلى دوره في الحركة الإسلامية وأسلوبه في العمل الدعوي قبل عام ١٩٦٧م عندما كانت الإدارة المصرية العسكرية هي التي تشرف وتدير أمور قطاع غزة وقد ذكر هذا الفصل بعض المضايقات التي تعرض لها الشيخ في هذه المرحلة.

الفصل الثالث: حرب ١٩٦٧م وما بعدها. وقد ألقى هذا الفصل الضوء على أثر هزيمة ١٩٦٧م النفسي على الجماهير الفلسطينية وكيف أدى ذلك إلى انتزاع الثقة من الفكر القومي الذي نادى به عبد الناصر مما أتاح فرصة للتيارات الإسلامية أن تقدم فكراً بديلاً ثم تناول هذا الفصل كيفية الرد على نظرية التوازن التي تبناها بعض المثقفين الفلسطينيين والتي مفادها أن السلطات قد أغضت العين عن الحركة الإسلامية لتكون منافساً وموازناً للمقاومة الفلسطينية.

ثم ألقى هذا الفصل الضوء على كيفية تبوء الشيخ قيادة الحركة الإسلامية بعد ١٩٦٧م وأسلوب قيادته وكيف تم ربط الضفة بالقطاع تحت قيادة حركية واحدة.

الفصل الرابع: وقد تحدث هذا الفصل المعنون «الاتجاه للمؤسسات» عن اتجاه الشيخ أحمد ياسين لإنشاء المؤسسات الإسلامية وجعلها نقاط انطلاق للعمل الإسلامي الشرعي لذلك يلقي الفصل الأضواء على نشأة كل من الجمعية الإسلامية والمجمع الإسلامي والنشاطات التي قامت بها هاتين المؤسستين.

ثم تعرض هذا الفصل كذلك لانطلاقة الدعوة من قطاع غزة إلى بقية القرى والمدن الفلسطينية في الضفة الغربية وداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة قبل عام ١٩٤٨م ومن الأمور الهامة التي جاء ذكرها في هذا الفصل علاقة الحركة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بغزة دور الحركة في المحافظة على إسلامية الجامعة.

الفصل الخامس: وعنوانه «معالم بارزة في حياة الشيخ أحمد ياسين» ويبرز هذا الفصل بعض السمات البارزة في شخصية الشيخ أحمد ياسين وفي حياته مثل الصبر والأناة والفطنة والقدرة وشخصيته كجار ثم يعرض لرحلة الحج التي قام بها الشيخ عام ١٩٥٧/٧٤م.

الفصل السادس: «العمل العسكري في حياة أحمد ياسين» وقد بحث هذا

الفصل الذي يعد من أهم الفصول في إلقاء الضوء على حياة أحمد ياسين الحالية في بدء نزوع الشيخ للعمل الجهادي في سبيل الله والعوامل التي أثرت فيه ثم الظروف التي أدت إلى سجن الشيخ في المرتين الأولى والثانية ودور أحمد ياسين في تنظيم العمل العسكري الجهادي في كلاهما.

الفصل السابع: وعنوانه «قرار الانتفاضة» ويلقي هذا الفصل الضوء على حقيقة هامة تتعلق بأهم فترة من فترات تاريخ «شعبنا الجهادي إذ أنها قد حسمت موضوعاً شكل ولا يزال جدلاً كبيراً حول من اتخذ قرار الانتفاضة والظروف التي أدت إليه والظروف التي اتخذ فيها ونشأة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وعرض لبعض الأعمال العسكرية التي قامت بها حماس وبعض مقتطفات من لائحة الاتهام التي وجهت للشيخ في سجنه الحالي.

الفصل الثامن: وهو الفصل الأخير وعنوانه «المحاكمة» وقد قدم هذا الفصل بعضاً من المعلومات التي توفرت حول محاكمات الشيخ في القضية الحالية وردوده على بنود الاتهام التي قدمتها النيابة العسكرية ضده ثم اتجه الفصل إلى ذكر بعض القضايا السياسية الهامة وموقف الشيخ أحمد منها وقد ارتكزت هذه المعلومات على تصريحات الشيخ أحمد ياسين نفسه لأجهزة الإعلام المحلية والعالمية وفي النهاية يلقي الأضواء على وضع الشيخ حالياً في السجن والمعاناة التي يتعرض لها والآلام الشديدة التي لا تتركه لحظة كل يوم.

إن الصعوبات والوقفات التي صادفت البحث كانت كبيرة ومؤلمة إلا أن الله قد أعان وها هو هذا الكتاب يخرج للقارئ وقد توحيت فيه الدقة فإن وفقت فالفضل والمنة لله دائماً وإن صادفت الأخطاء فهي ترجع لطبعي البشري الذي أرجو من إخواني القراء أن يدلوني عليه وأن يعينوني على تلافي الخطأ في المستقبل.

د. عاطف عدوان

بيت حانون - قطاع غزة

١٩٩١/٧/١٥م